مطلبٌ «في معاملة الناس»

ابْذُلْ لصديقك دمك ومالك، ولمعرفتك رِفْدك ومَحْضَرك، وللعامَّة بِشْرَك وتحنُّنَك، ولعدوِّك عَدْلك وإنصافك.

واضنن بدِينك وعِرْضِك على كل أحد.

مطلبٌ «في تحذير المرء من انتحاله رأي غيره»

إنْ سمعت من صاحبك كلامًا أو رأيتَ منه رأيًا يعجبك، فلا تنتحِلْه تَزَيُّنًا به عند الناس، واكتفِ من التزيُّن بأن تجتني الصَّواب إذا سمعته، وتنسُبَه إلى صاحبه. واعلم أنَّ انتحالك ذلك مسخطةٌ لصاحبك، وأنَّ فيه مع ذلك عارًا وسُخْفًا. فإن بلغ بك ذلك أنْ تُشير برأي الرجل وتتكلمَ بكلامه وهو يسمع؛ جَمَعْتَ مع الظلم قِلَّةَ الحياء، وهذا من سُوء الأدب الفاشي في الناس. ومن تمام حُسن الخُلُق والأدب في هذا الباب، أنْ تَسْخُو نفسُك لأخيك بما انتحلَ من كلامك ورأيك، وتنسُبَ إليه رأيه وكلامه، وتُزيِّنَه مع ذلك ما استطعت.

مطلبٌ «في أن لا خوف عليك من أخي الثقة أنْ يخالط العدو»

إنْ رأيت صاحبك مع عدوِّك فلا يُغضبنَّك ذلك؛ فإنما هو أحد رجلين: إنْ كان رجلًا من إخوان الثقة فأنفعُ مَواطِنه لك أقربُها من عدوِّك؛ لشَرٍّ يكفه عنك أو لعورة يسترها منك، أو غائبة يطَّلع عليها لك، فأمَّا صديقك فما أغناك أنْ يحضره ذو ثقتك . وإنْ كان رجلًا من غير خاصَّة إخوانك، فبأي حقٍّ تقطعه عن الناس وتُكَلِّفه ألَّا يُصاحب ولا يُجالس إلَّا مَن تهوى؟ تحفَّظ في مجلسك وكلامك من التطاول على الأصحاب، وطِبْ نفسًا عن كثير ممَّا يعرِض لك فيه صوابُ القول والرأي، مداراةً لأَنْ يظُنَّ أصحابك أنَّك إنما تُريد التطاول عليهم.

مطلبٌ «في أنَّ الدَّعِيَّ لا محالة مفضوح»

لا تُكثِرنَّ ادِّعاء العلم في كل ما يعرِض بينك وبين أصحابك، فإنَّك من ذلك بين فضيحتين: إمَّا أنْ ينازعوك فيما ادَّعيتَ؛ فيُهْجَم منك على الجهالة والصَّلَف.

وإمَّا ألَّا ينازعوك ويُخَلُّوا في يديك ما ادَّعيت من الأمور، فينكشفَ منك التصنُّع والمَعْجَزَةُ.

واستحِ الحياءَ كلَّه من أنْ تخبر صاحبك أنَّك عالم وأنه جاهل؛ مصرِّحًا أو مُعَرِّضًا.

وإنْ استطلت على الأكْفَاء فلا تثقنَّ منهم بالصفاء.

مطلبٌ «في آداب المجالسة»

لا تُجالسنَّ امرأ بغير طريقته، فإنَّك إنْ أردتَ لِقاء الجاهل بالعلم، والجافي بالفقه، والعييِّ بالبيان لم تزدْ على أنْ تُضيِّعَ عِلمك، وتُؤْذي جليسك بحَملك عليه ثِقْلَ ما لا يعرفُ، وغمِّك إياه بمثل ما يغتمُّ به الرجُل الفصيحُ من مخاطبة الأعجمي الذي لا يفقه عنه.

واعلم أنَّه ليس من علمٍ تذكرُهُ عند غير أهله إلَّا عابوه، ونصبوا له ونقضوه عليك، وحَرَصوا على أنْ يجعلوه جهلًا، حتى إنَّ كثيرًا من اللهو واللعب الذي هو أخفُّ الأشياء على الناس لَيَحْضُره من لا يعرفُهُ، فيثقُلُ عليه ويغتم به.

ولْيعلم صاحبُك أنك تُشْفق عليه وعلى أصحابه، وإيَّاك إنْ عاشرك امرؤٌ أو رافقك، أنْ يَرَى منك الولوعَ بأحدٍ من أصحابه وإخوانه وأخدانه، فإنَّ ذلك يأخُذُ من أعِنَّة القلوب مأخذًا، وإنَّ لُطْفَك بصاحب صاحبِك أحسنُ عنده موقعًا من لطفكَ به في نفسه.

واتَّقِ الفرح عند المحزون، واعلم أنه يحقدُ على المُنطلِق ويشكر للمُكتئِب.

اعلم أنَّك ستسمع من جُلسائك الرأيَ، والحديثَ تُنكرُهُ وتستجفيه وتستشنعه من المتحدِّث به عن نفسه أو غيره، فلا يكوننَّ منك التكذيب، ولا التسخيف لشيء مما يأتي به جليسك، ولا يُجرِّئنَّك على ذلك أنْ تقول: إنما حدثَ عن غيره، فإنَّ كلَّ مردودٍ عليه سيمتعِضُ من الردِّ، وإنْ كان في القوم من تكرهُ أنْ يستقرَّ في قلبه ذلك القول، لخطأ تخاف أنْ يعقد عليه، أو مضرَّة تخشاها على أحدٍ، فإنَّك قادرٌ على أنْ تنقُضَ ذلك في سَتر، فيكون ذلك أيسرَ للنقض وأبعد للبعضة.